عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني
المهاجرين والأنصار الذين مثلهم في التوراة والإنجيل ألا ترى إلى حكاية الله قول المؤمنين
ربنا إننا آمنا وأما مخاطبة إخوانهم فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية
والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم
به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فإن
قلت أنى تعلق قوله إنما نحن مستهزئون بقوله إنا معكم قلت هو توكيد له لأن قوله إنا
معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله إنما نحن مستهزئون رد للإسلام ودفع له منهم لأن المستهزئ
بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته أو بدل منه لأن
من حقر الإسلام فقد عظم الكفر أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم إنا معكم
قالوا فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أهل الإسلام فقالوا إنما نحن مستهزئون والاستهزاء
السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات
على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لأهزأن على مكاني وناقته تهزأ
به أي تسرع وتخف فإن قلت لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لأنه متعال عن القبيح والسخرية
من باب العبث والجهل ألا ترى إلى قوله قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين
فما معنى استهزائه بهم قلت معناه إنزال الهوان والحقارة بهم لأن المستهزئ غرضه الذي
يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وإدخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما
ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد به تحقير شأنهم وازدراء أمرهم
والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز أن
يراد به ما مر في يخادعون من أنه يجري عليهم أحكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد
بهم من العقاب وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه فإن قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله
قلت هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه أن الله عز وجل هو الذي يستهزئ

بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته
لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء
بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله فإن قلت فهلا قيل
الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله إنما نحن مستهزئون قلت لأن يستهزئ يفيد حدوث
الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم
أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين وما كانوا يخلون في أكثر أوقاتهم من تهتك
أستار وتكشف أسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من أن ينزل فيهم يحذر المنافقون أن
تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون **ويمدهم**
في طغيانهم من مد الجيش وأمده إذا زاده وألحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة
وأمدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والأرض إذا استصلحتهما بالزيت والسماد
ومده الشيطان في الغي وأمده إذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه
فإن قلت لم زعمت أنه من المدد دون المد في العمر والإملاء والإمهال قلت كفاك
دليلا على أنه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع وإخوانهم
يمدونهم على أن الذي بمعنى أمهله إنما هو مد له مع اللام كأملى له فإن قلت كيف جاز أن
يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشيطان ألا ترى إلى قوله وإخوانهم يمدونهم في الغي
قلت إما أن يحمل على أنهم لما منعهم الله ألطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب
كفرهم وإصرارهم عليه بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد النور والانشراح في
قلوب المؤمنين فسمى ذلك التزايد مددا وأسنده إلى الله سبحانه لأنه مسبب عن فعله بهم
بسبب كفرهم وإما على منع القسر والإلجاء وإما على أن يسند فعل الشيطان إلى الله تعالى
لأنه بتمكينه وإقداره والتخلية بينه وبين إغواء عباده فإن قلت فما حملهم على تفسير المد
في الطغيان بالإمهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم إلى ذلك
خوف الإقدام على أن يسندوا إلى الله ما أسندوه إلى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما

Copyright © King Saud University